محاضرات في مادة: قراءة نقدية للمصادر والمراجع

عنوان المحاضرة الرابعة: الحتمية العلمية: الأسلوبية

يتفرع علم الأسلوب من اللغويات الحديثة، ويختص بالتحليل المفصل للأسلوب الأدبي، أو ما يختاره المتحدثون والكتاب من أساليب لغوية في سياقات غير أدبية، يقول الشاعر الفرنسي بول فاليري: " إن الأسلوب الأدبي انحراف عن معيار". (واطسون،دراسة الأدب).

يقول الناقد البريطاني جريام هف(أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة كمبردج، في كتابه " الأسلوب وعلم الأسلوب": إن علم الأسلوب هو الجسر الواصل بين النقد الأدبي وعلم اللغة. إنه المبحث الذي يدرس ترتيب الكلمات والتكرار والأنساق الإيقاعية والموسيقية والمجاز والرمز والصور والطابع المحلي والمؤثرات المتولدة عن المزج بين معطيات الحواس. وهو إذ يحتفي بالنسيج اللفظي يبدأ من النص الأدبي وليس من الظروف المحيطة به، منطلقه هو كلمات النص وكيف تم الجمع بينها في ترتيب معين يرمي إلى توليد أثر معين. إنه دراسة للمعجم اللفظي وبناء الجمل ونسبة الأسماء بالمقارنة بالنعوت، ونسبة الجمل الاسمية بالمقارنة بالجمل الفعلية أو أشباه الجمل".

ولا يبدو الأمر غريبا عندما نجد بعض الكتاب والمبدعين أقدر على الدرس الأسلوبي من غيرهم، فلكل كاتب خصائصه التي تتجلى في قدرته وطريقته في استعمال الكلمات، لتكون قابلة للتحليل الأسلوبي.

يعد شارل بالي أول من استعمل عبارة "علم الأسلوب"، وهو صاحب الكتابين: "رسالة في علم الأسلوب الفرنسي" الصادر في 1951 و"اللغة والحياة" الصادر أيضا سنة 1951. ولكنه لم يقصد بعبارة "علم الأسلوب"دراسة الأسلوب الأدبي، وإنما قصد دراسة المؤثرات والآليات التعبيرية في اللغة عموما.

قطع علم الأسلوب شوطا كبيرا نحو الدقة بعد أن كانت الفكرة القديمة هي: إن الأسلوب لباس أو رداء الفكر. فالفكرة تطرأ أولا على الذهن ثم يبحث لها الكاتب عن ثوب لفظي.

ومن الكتابات الرائدة في علم الأسلوب، كتاب الناقد الفرنسي "ريمون دي جورمون"، الذي ألف كتاب " مشكلة الأسلوب" عام 1902، وقد هاجم في هذا الكتاب الأفكار الآلية عن الأسلوب. وكتاب الناقد الإنجليزي "جون مدلتون مري" من خلال كتابه، المعنون أيضا بـ " مشكلة الأسلوب" الصادر عام 1922،وهو مؤلف يخلو من المنهجية، ولكنه لا يخلو من ملاحظات قيمة.

من الأعمال أيضا: "أسلوب صمويل جونسون النثري" الصادر عام 1941 للناقد الأمريكي " وليم ك.ويمزات. و"الأداة مفشية السر" الصادر عام 1949 للناقد البريطاني، "السير

يتحدث عن استخدام بعض الشعراء theجورج روستريقور هاملتون"، وهو كتاب . المحدثين، مثل: و.ه.أودن، لأداة التعريف

وهناك كتاب آخر لـ " ديفيد لودج" موسوم "لغة القصة" صدر عام 1966، وكتاب لـ " جيفري ليتش ومايكل شورت" موسوم " الأسلوب في القصة الخيالية" الصادر عام 1981، وكتاب لـ "مايكل شورت" موسوم " استكشاف لغة القصائد والمسرحيات والنثر" الصادر عام 1966.

ولا شك أن علم الأسلوب مدين للناقد " رومان ياكوبسون" (1896-1982)، مؤلف " إطار اللغة" عام 1980، و " الفن اللفظي والعلامة اللفظية والزمن اللفظي" عام 1985، و" اللغة في الأدب" عام 1987. و"ياكبسون" هو باحث روسي المولد، عرف بكتاباته عن " وجهي اللغة"، بمعنى ترتيب العلاقات اللغوية من خلال محور التضام، ومحور الاختيار. وقد كان عالما لغويا وعالم فولكلور وناقدا أدبيا، وخبيرا باللغات السلافية والأساطير، ودارسا للعصور الوسطى، كما إنه ناقد مسرحي وسينمائي.

شكل "ياكبسون" مع ستة دارسين آخرين ما سمي "دائرة موسكو اللغوية" سنة 1915، وقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة اللغة من حيث هي نظام، رافضة المدخل التاريخي المتعارف عليه، الذي يصرف اهتمامه إلى تتبع تغير اللغة وتطورها.ثم النتقل إلى تشيكوسلوفاكيا في 1920 وحصل على الدكتوراه من جامعة براغ في 1930، وأسس مع علماء آخرين " دائرة براغ اللغوية "، وهي منظمة أخرى عكفت على دراسات اللغة. وبعد قيام الحرب العالمية في 1939 لجأ إلى اسكندنافيا ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1941، واشتغل هناك في عدد من جامعاتها.

اهتم "ياكبسون" بدراسة الاستعارة والكناية. وفي مقالته الموسومة: " جانبان من اللغة ونمطان من اضطرابات الحبسةط- أي تعذر النطق-، ذهب إلى إن اختيار المتكلم للكلمات يتضمن عمليتين: إحداهما هي اختيار الكلمات، والأخرى هي الجمع بينهما لتكوين وحدات أعقد. وعنده: إن الرومانتيكية والرمزية والسريالية أقرب إلى استخدام الاستعارة، بينما الواقعية والتكعيبية أقرب إلى استخدام الكناية. وفي فن السينما تكون بعض التقنيات، مثل اللقطات المكبرة، كنائية، بينما تقنيات أخرى مثل: المونتاج، استعارية.

ومن مقالاته الأخرى المهمة "علم اللغة و البويطيقا"حيث يؤكد وجود صلة وثيقة بين هذين الأمرين،ويرد حديثه عن محور اللاختيار ومحور التضام.

ومن خلال نشاطه في "دائرة موسكو اللغوية" تبادلت هذه الأخيرة الأفكار مع جماعة أخرى مهمة هي "جمعية بتروجراد لدراسة لغة الشعر" المعروفة باسم "أوبوياز" - تأسست هذه

الأخيرة في 1916 - ومن لقاء هاتين الجماعتين ولدت الشكلانية الروسية (ينظر لين: خمسون منظّرا أدبيا رئيسيا)

وفي مقالات من نوع مقالته المسماة "شعر الأجرومية و أجرومية الشعر" أحدث ياكوبسن تقاربا بين التفكير الأدبي والتفكير الرياضيى، و استخدم تقنيات فكرية من علم الرياضة في مجالات لم يكن لها عهد بهذا العلم من قبل.وظل دائما مهتما بفحص الأوجه "البنائية" للأدب:فهو في الشعر مهتم بنظريات العروض،وفي النثر مهتم بأجناس الحكاية الشعبية التقليدية التي تتسم بوجود توازيات قوية بين الجمل المتتابعة (انظر مقالة سامبسون في كتاب :مفكر و القرن العشرين، تحرير رولاند تيرنر).

سعى ياكوبسن الى تفهم "أدبية" الأدب - أن يحدد بمصطلحات علم اللغة ما يجعل من الرسالة اللفظية عملا فنيا. وتجلى هذا في مقالته السابق الشارة اليها، مقالة "علم اللغة و البوطيقا"وقد ألقاها في مؤتمر عن"الأسلوب في الأدب" عقد بجامعة إنديانا الأمريكية في 1958.

وفي 1962 تعاون ياكوبسن مع ليفي ستروس في كتابة في تحليل بنيوي لسوناته بودلير المسماة "القطط"،على أن تحليلهما هذا كان موضع نقد من جانب ميشيل ريفاتير في عام .1966(ينظر:لودج و وود(محررين):النقد الحديث و النظرية). وقد تناول ياكوبسون وليفي ستروس قصيدة بودلير من حيث شكل المقطوعة ، و نظام القافية و التركيب الصوتي ، و البناء الدلالي.

أما ريفاتير (1924-2006) فباحث فرنسي سعى إلى معرفة الطريقة التي يتحول بها أي فعل كلامي إلى عمل فني.ومن مؤلفاته:مقالات من علم الأسلوب البنائي(1971)،سيميوطيقا الشعر (1979).